مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 2 السّنة: الثّلاثيّ الثّانيّ 2021 ص105 - 122

انعكاس صورة الذّات في مرآة التخييل واللاشعور الثقافيّ "سيرة المنتهى" لواسيني الأعرج أنموذجا

Reflection of self image in the mirror of imagination and cultural unconsciousness " sirat al muntaha " of wasini laaraj

أ. حكيمي محمّد*

بإشراف: د. قراش محمّد**

تاريخ الاستلام: 27- 06- 2019/ تاريخ القبــول: 09- 01- 2020

التعريف الرقمي للمقال: DOI 10.33705/0114-023-002-008

ملخّص: تتناول هذه الدّراسة موضوع التّخييل الذّاتي، ذلك الشّكل الإبداعي الحديث الذّي أصبح سمة الإبداع الرّوائي المعاصر في السّاحة الأدبيّة العالميّة والجزائريّة بشكل خاص والذّي يُعَول عليه في كتابة السّيرة الذّاتيّة، يهيم به المبدع بقلم الكتابة الرّوائيّة في عوالم تخييليّة، عوالم تتجاوز بالذّات المبدعة حدود واقعها الكائن إلى الممكن، في ظل تمزيق المبدع لأحداث حياته الواقعيّة وخلط صفحات ذكرياته واستعماله لخاصيّة التّخييل الذّاتي في حركة تصحيحيّة جماليّة لمعالم الذّات المبدعة وواقعها، لا يكاد الرّوائي أن يخرج من الواقعي ويرتحل للخيالي حتى يجد نفسه يمارس لا شعوريا ثقافة معينة تحمل شفرات ثقافيّة خاصّة في شكل تداعي حر أو تنفيس إبداعي روائي يتكون شعوريا عن طريق الكتابة ولا شعوريا عن طريق انتهاك عوالم التّخييل الذّاتي.

* ج. زيان عاشور الجلفة الجزائر، البريد الإلكتروني: hakimimohamed04@gmail.com (المؤلّف المرسل)

** ج. زيان عاشور الجلفة / الجزائر، البريد الإلكتروني: mkerrache@yahoo.fr

كلمات مفتاحيّة: التّخييل الذّاتي؛ الخيال؛ اللاشعور الثّقافي؛ الخلفيّة الثّقافيّة الأنساق الثّقافيّة؛ السّيرة الذّاتيّة؛ الذّات؛ التّاريخ؛ الرّواية الجزائريّة.

Abstract: It dealt with the subject of the self-delusion and the cultural unconscious in the Algerian novel by addressing the concepts of self-delusion in the form of theoretical projection On the practical side in the novel biography of the end as a model, so proceeded to the definition of the concept of self-delusion and its relationship with novel Biography, noting that the creator can by self-delusion that goes beyond The reality, and overcome its cultural subconscious, identified as the reality of the Algerian novel of an act of self-delusion , so how this represents a creative act in the end-of-novel biography: of Wasini laaraj.

Keywords: Self-delusion; cultural unconsciousness; Cultural background; Cultural formats; Cultural formats; Reality; novel biography, Algerian novel.

1.مقدّمة: تتداخل الحقول الجماليّة والإبداعيّة ببعضها البعض، وتتحاور النّصوص والأساليب في سماء الإبداع والكتابة الرّوائيّة، لذلك اتجه الكثير من الكتاب الجزائريين إلى فعل التّخييل في كتابة السّيرة الذّاتيّة، ولمّا أصبح هذا الفعل سمة غالبة على الإبداع السّيري المعاصر وسمنا مقالنّا هذا بعنوان: التّخييل الذّاتي واللاشعور الثّقافي في الرّواية الجزائريّة المعاصرة سيرة المنتهى لواسيني الأعرج أنموذجا، ذلك أنّنا اخترنا هذه الرّواية لأنّها عبارة عن سيرة ذاتيّة استعمل فيها الرّوائي فعل التّخييل الذّاتي بشكل مكثف من أجل إعطائها طابعا جماليا ونوعا من التّغريب لأحداث حياته الخاصّة. فما هو مفهوم التّخييل الذّاتي وما علاقته برواية السّيرة الذّاتيّة ؟، وهل يستطيع المبدع بفعل التّخييل وبتجاوزه لواقعه أن يتجاوز

اللاشعور الثّقافي الخاص به؟ وما هو موقع الرّواية الجزائريّة من فعل التّخييل الذّاتي وكيف تمثل هذا الأسلوب الجمالي في رواية سيرة المنتهى لواسيني الأعرج؟.

1.1-التّخييل الذّاتي: يعتبر التّخييل بمثابة " فعل إبداعي معرفي ممتد الأطراف تتحرك فيه الذّاكرة الإنسانيّة لتبدع من خلاله ما تعتقد أنّه يلامس الحقيقة في بعض جوانبها وترى فيه نموذجا لما تطمح إليه وترغب في تحقيقه، ويمكن أن يكون في بعض الأحيان تعويضا عن الواقع المحدود الذّي يتحرك فيه الإنسان ماديا"[1] وتجاوزا له.

ويعود مفهوم التّخييل الذّاتي إلى أمر نظريّ وآخر إبداعي. فقد حدّد فيليب **لوجون** منذ سنة 1975 خصائص السّيرة الذّاتيّة معتمداً أساساً على ما سماه "الميثاق السّيرذاتي". وهو عنده شرط ضروريّ لوسم نصّ من النّصوص بالسّيرة الذّاتيّة. وقوامه أن يجد القارئ على نحو ما تطابقاً بين أعوان السّرد، أي الرّاوي والشّخصيّة القصصيّة والمؤلّف. ويقوم الاسم العلم دليلاً لغويّاً على ذلك.

إلّا أنّ **لوجون** وجد، وهو يقلّب النّظر في العلاقات الممكنة بين أعوان السّرد الثّلاثة، في جدول اصطنعه للغرض خانتين فارغتين. إحداهما أن تكون سيرة ذاتيّة ولكنّ الشّخصيّة فيها مختلفة عن المؤلّف والأخرى ألّا يكون الميثاق روائيّاً وإن تطابق اسم المؤلّف مع اسم الشّخصيّة. ولكنه لم يجد في الوقائع الاختباريّة، أي الأعمال الرّوائيّة أو السّير الذّاتيّة، ما يؤكّد هذين الاحتمالين النّظريّين[2].

بعد ذلك " برز اسم ناقد وجامعي وروائيّ فرنسي-هو "**سيرج دوبروفسكي**". فقد أصدر سنة 1977 نصّاً أدبيّاً عنونه بـ "ابن". وأضاف إشارة أجناسيّة تفيد أنّ كتابه ينتمي إلى جنس "التّخييل الذّاتي ويتواصل هذا التّداخل بين الإبداع الأدبيّ ونقده النّظري، إذ يحدّد **دوبروفسكي** نفسه التّخييل الذّاتي بخصائص ثلاث:

- أوّلا: اعتبار التّخييل من الرّواية لا من السّيرة الذّاتيّة وإن كانت حياة الشّخص تمثّل مادّة من موادّ الكتابة؛

- وثانيا: اشتراط تطابق اسم المؤلّف مع اسم الشّخصيّة؛

– وثالثًا: الاحتفاء في النّصّ بالإيقاع والتّجانس الصّوتي وقد تبدو هذه الشّروط هيّنة لكنّ عالم الخطاب الذّي يبنيه مؤلّف التّخييل الذّاتي يقتضي أن تصبح الكتابة مصهراً تذوب فيه تجربة الحياة الفرديّة، إذ يبتدع المؤلّف لنفسه حياة متخيّلة يعيشها نصّيّاً. ويمكننا القول هنا بأنّ التّخييل الذّاتي يختص برسم حياة متخيّلة مختلفة عن الحياة التّي عاشها المؤلّف في الواقع"[3].

يُقدّم" **فانسان كولونا**(Colonn Vincent[4]") تعريفا آخر للتخييل، وقد جعله في صلب أيّ مشروع لـ(خَيْلنة الذّات)، بشرط أن يكون التّطابق بين المؤلّف والشّخصيّة الرّئيسيّة واضحا بالنّسبة للقارئ على الدّوام. فالتّخييل الذّاتي عنده ممارسةٌ نوعيّة «من خلالها يخترع الكاتب الشّخصيّة والوجود، وهو يحرص على أن يحفظ لنفسه هُويّتَه الواقعيّة (اسمه الحقيقي)». ويُطبِّق" **كولونا** "هذا التّعريف بشكلٍ استرجاعيٍّ على أي نصّ ومؤلّف من زمن آخر يسمح بالتّعرُّف عليه داخل الوصف الرّوائي"[5].

2.1 –بين التّخييل الذّاتي والسّيرة الذّاتيّة: لابد لنا أن نفرّق بين التّخييل الذّاتي والرّواية السّيرذاتيّة " فالتّخييل الذّاتي هو أحداث واقعيّة تساق في إهاب التّخييل، أمّا الرّواية السّيرذاتيّة فهي نص روائي يشتقّ صاحبه فيه من حياته جزءاً معيناً ويسوقه على لسان شخصيّة مفارقة للراوي. والفرق بين السّيرة الذّاتيّة والتّخييل الذّاتي أنّ رواية السّيرة الذّاتيّة يكون فيها اسم المؤلّف مختلفاً عن اسم الشّخصيّة، كما أنّ المؤلّف يستدعي أحداثاً واقعيّة معيشة، وينشئ منها تخييلًا. أمّا في التّخييل الذّاتي فالشّخصيّة تحمل اسم المؤلّف، كما أنّ المؤلّف ينشئ لنفسه مصيراً جديداً يعدّل من حين إلى آخر فيه عن معيشه، وربّما انمحت فيه الحدود أحياناً بين الواقعي والتّخييلي"، أي أنّه ليس رواية وليس سيرة ذاتيّة. وقد اعترف **دوبروفسكي** في رسالة منه إلى **فيليب لوجون**، بأنّه ابتدع هذا الجنس الأدبيّ لملء الخانة الفارغة!، فنكون بذلك أمام جنس أدبيّ أكاديميّ، إن صحّ التّعبير، أو هو جنس أدبيّ أوجده ناقد جامعيّ على سبيل الثّورة على السّيرة الذّاتيّة[6].

يقول في هذا الشّأن **فيليب لوجون** أثناء محاورة **ميشال دولون**[7] له: أنّ الخطاب السّير–ذاتي يقتضي طلبا للاعتراف، وهو ما لا يوجد في التّخييل...ثم إنّ السّيرة الذّاتيّة ليست نصا يلتزم فيه الكاتب بقول الحقيقة فحسب –على عكس التّخييل بحيث لا يرتبط كاتبه بأي التّزام. ويلفي **فيليب لوجون**: أنّ **كونستان**، وكذا **ستاندال وجيد** وآخرون، يلعبون على

إمكانيّة التّنويع والتّجريب على الذّات وإبداع وضعيات افتراضيّة والدّفع بها إلى أقصى-مدى في هذا الاتجاه -من دون الالتزام بخطاب الحقيقة-، لكن مع إدماج تلك الافتراضات كصور بلاغيّة ضمن فضاء تمثيلي للذات. وتقتضي-منطقة التّجريب هذه بعض المسافة، إذ لا يطلب من القارئ تصديق كل ما يروى فيتم بذلك الابتعاد عن مبدأ التّصديق المرتبط بالسّيرة الذّاتيّة لتطرح على القارئ مسارات لعب. وهو ما أحسن سيرج **دوبروفسكي** تسميته من خلال لفظ: التّخييل الذّاتي autofiction. وقد أبدع **دوبروفسكي** هذه اللفظة في معنى دقيق ومحدّد بخصوص روايته الابن fils[8].

من هذا المنطلق " يصبح الميثاق السّيرذاتي في التّخييل الذّاتي محرفا بدعوى عدم وجود تطابق مرجعي بين الأطراف الثّلاثة: الكاتب والسّارد والشّخصيّة.

3.1 -درجة الانزياح عن المرجع (الواقع): يمكننا أن نعتمد على هذا المعيار للتمييز بين السّيرة الذّاتيّة والتّخييل الذّاتي في مدى اقترابهما من المرجع أو انزياحهما عنه." تكون السّيرة الذّاتيّة وفيّة للسجل المرجعي (الالتزام الصّريح، والصّدق، والحقيقة السّاذجة، وتطابق الهويات السّرديّة). أمّا التّخييل الذّاتي فينزاح عن الواقع، ويعيد تشخيصه بطريقة خياليّة ويتمرد على مواضعات الميثاق السّيرذاتي (الالتّزام المصطنع، وتزييف الحقائق المعيشة وإضفاء التّخييل على الذّات، وعدم تطابق الهويات السّرديّة)."[9]

4.1 -اللاشعور الثّقافي: إنّ مقاربة مفهوم اللاشعور الثّقافي يستدعي أن ننطلق من متتاليّة مهمّة تعرض بشكل مادي مدى التّقابل القائم بين الواقع والشّعور، الذّي يمثل الجانب المرجعي الذّي ينطلق منه كل كاتب في عمله " السّيرذاتي"، والتّقابل القائم بين التّخييل الذّاتي واللاشعور؛ بحيث يمثل هذا الأخير مجموع الخبرات الثّقافيّة المتشكلة عبر مسيرة الفرد في حياته في وسط ثقافي معين، وهو يعتبر بمثابة الواجهة الخلفيّة الثّقافيّة اللاشعوريّة للكاتب والتّي على أساسها سيتصرف ويفعل ويبدع ويتخيل مثلما هو مبين في الشّكل الآتي:

الواقع = الشّعور ≠ التّخييل الذّاتي = (اللاشعور الخلفيّة الثّقافيّة للكاتب)
الواقع ≠ التّخييل الذّاتي

وعليه يتجسد التّخييل في الرّواية بجعل بعض الإمكانات الخياليّة واقعيّة على الأقل في العالم الرّوائي السّيرذاتي، وهو تجسيد لتلك الإمكانات الّتي تعذر على المؤلّف أن يعيشها ويحققها في واقعة، في هذه الحالة نكون أمام نوع من التّداعي الحر، ونوع من تحقيق الرّغبات وتحويلها من منطقة اللاشعور إلى منطقة الشّعور بفعل الكتابة؛ بحيث تصبح معلومة ومرئيّة في شكل صور ذهنيّة مستحضرة في عالم الرّواية السّيرذاتيّة ويظهر ذلك في رواية " سيرة المنتهى لواسيني الأعرج "حينما قال ":إلى ميترا حتى ولو لم يكن لك أي وجود إلاّ في كتبي، وأحلامي وقلبي تحديدا. أنت الوحيدة التّي أستطيع أن أروي لها قصتي، قصتنا، من دون أن أخاف "[10]. فالكاتب هنا يستعمل خاصيّة التّخييل الذّاتي بتوجهه على مخاطبة الغائب ذلك الكائن الذّي ليس له وجود في الواقع ذلك الكائن الخيالي ليروي له قصّة حياته.

ما يحدث هنا هو نوع من التّحويل والتّجسيد والتّحقيق للاشعور الثّقافي الخاص بهذا الكاتب السّيرذاتي في أرضيّة العمل الرّوائي، إذا ما يكتبه الكاتب السّيرذاتي ما هو إلا نوعاً من التّداعي الحر للاشعور الثّقافي. وعليه يمكننا القول: أنّ من يتكلّم في الرّواية السّيرذاتيّة ليس هو ذلك الرّجل الحقيقي (الكاتب)، أو السّارد أو ما ينوب عنه من الرّاوي، بل هي الثّقافة ثقافة ذلك المبدع. في هذه الحالة نكون أمام فكرة أخرى وهي أنّ الثّقافة تستعمل المؤلّف والكتابة في تجسيد وتصوير وتمثيل أنساقها الفكريّة والثّقافيّة.

بالرّجوع إلى خاصيّة التّخييل الذّاتي فإنه لا يكاد يخرج من مجال وحقل اللاشعور الثّقافي الخاص بالكاتب السّيرذاتي، ذلك أنّ التّخييل الذّاتي ما هو إلاّ تجسيد جزئي للاشعور الكاتب. الذّي يمكننا تجسيده في الشّكل الآتي:

5.1 -خاصيّة التّحويل الذّاتي: يجب أن نشير هنا إلى أنّ خاصيّة التّحويل الذّاتي هي خاصيّة نفسيّة متصلة بفعل التّخييل الذّاتي أو هي المحرك له. فقد استعمل "**سيغموند فرويد**" المصطلح التّحويل "ويقصد به تحويل الانفعالات والطّاقة النّفسيّة، عن المعاني أو الموضوعات التّي كانت متصلة بها في الأصل، ثم ارتباطها بمعان أو موضوعات أخرى، توصف عادة بأنّها بديلة لأنّها حلت محل المعاني أو الموضوعات الأصليّة، والتّحويل عمليّة سيكولوجيّة تلجأ إليها الطّاقة النّفسيّة أو الطّاقة الإبداعيّة لتتجنب ما تجده عادة من مقاومة وكبت، تستطيع بذلك أن تعبر عن نفسها وأن تنفذ للشعور، فإذا لاقت بعض المعاني مقاومة مستمرة تمنعها من الظّهور في الشّعور، لجأت الطّاقة النّفسيّة والإبداعيّة المتصلة بهذه المعاني إلى النّقل والتّحويل؛ أي أنّها تلجأ إلى الاتصال بمعاني بديلة تكون عادة رموزا للمعاني الأصليّة[11]. وهذا نوع من الجنوح إلى التّخييل وإقحامه كإمكانيّة أخرى للوجود في العالم الرّوائي السّيرذاتي.

من هذه النّقطة بالذّات يمكننا القول أنّ ما لم يستطع المؤلّف السّيرذاتي أن يحقّقه في واقعه بفعل مانع معين يحققه بفعل التّخييل الذّاتي في الرّواية السّيرذاتيّة، أو بشكل منفصل عنها في شكل أدبي منفرد، كنوع من المقاومة النّفسيّة والوجوديّة تتعدّى وتخرق وتتجاوز من خلالها هذا الواقع، الذّي لم يستطع المؤلّف أو المبدع أن يعدّل فيه، أو يعايشه، أو يحقّق فيه كل رغباته. وهذا ما نجده في رواية "سيرة المنتهى".

2 -فعل التّخييل الذّاتي واللاشعور الثّقافي في رواية "سيرة المنتهى" لواسيني الأعرج: أهم شيء يظهر في فعل التّخييل الذّاتي في الرّواية هو استدعاء وإدماج أحداث لم يعشها الكاتب أو المؤلّف في الواقع والسّؤال الذّي يطرح نفسه هنا هو كيف نتعرف على الأحداث التّي لم يعشها المؤلّف واسيني الأعرج في حياته الواقعيّة خصوصا وأنّنا لم نشاطره هذه الحياة؟

يمكننا في هذه الحالة أن نستعين بعنصر التّاريخ، فالمؤلّف يعيش في الوقت الحاضر مبدئيا هو ينتمي إلى جيل التّسعينات، من هذا التّاريخ يمكننا أن نتعرف على الأحداث التّي لم يعشها، وهي الأحداث التّي تنتمي إلى ما قبل التّسعينات بحيث يستدعي واسيني في روايته أحداثا تنتمي إلى فترة محاكم التّفتيش بإسبانيا، وهو يسرد في روايته هذه الأحداث وكأنه مشارك فيها، بل وحتى أنّه تم تعذيبه من طرف رجال الدّين في ذلك الوقت في قوله (لقد

جربوا على جسدي كل وسائلهم الجهنميّة لدرجة الصّراخ بأعلى صوتي في لحظات اليأس حرّرني يا إلهي حرّرني من هذه الآلام إنّني فيك. حررني من جسدي، إنّي أشعر بالبرد في ظهري. كان الله مغيبا عني ليلتها ولم أر نوره أبدا، ولكنّي رأيت ظلمة مستشريّة. فجأة وأنا أستمع لنداءات جسدي الممزّق رأيت نورا متسربا من مكان ما لم أستطع تحديده فجأة لم أعد أشعر بأي شيء من حولي قبل أن يتدخل أنجيلو النّصراني. ويخرجني من حمم الموت).[12]

وهنا يستعمل واسيني ضمير المتكلم لكي يسرد ويصف لنا حالتّه بعد تعذيبه من طرف محاكم التّفتيش وهي أحداث في الواقع غير حقيقيّة لأنّ واسيني لم يعايش ذلك الزّمن. وسرد هذا النّوع من الأحداث هو فعل تخييلي.

يمكننا أن نرصد فعل التّخييل الذّاتي في الرّواية عن طريق بعض المحدّدات وهي: " استعمال الكاتب لشخوص خياليّة مبتدعة، والتّعدّيل أو تزييف في التّواريخ استحضار الأحلام والاستيهام، مساءلة أحداث وقعت في الماضي، استعمال الكاتب لأحداث تتجاوز الإطار الزّمني والمكاني الذّي عاش فيه، إيراد أماكن خياليّة في الرّواية أو وصفها،" واستثمار السّارد لإمكانيّة الكلام المجهور، وأسلبة النّصوص المقدّسة والخطابات التّرسليّة بطريقة ساخرة وهذا النّوع من اللغة يحقّق تباعدا بين الأحداث والواقع، وعقد الصّلة بين فضاءات أيقونيّة، ودخول النّص في صراع ذاتي ليدحض الحقيقة المطلقة النّهائيّة، ويفرض إيقاع التّحول عبر آليات الارتداد والتّصحيح والحذف " [13]. وهذا ما استعمله واسيني في رواية سيرة المنتهى، وعليه سأقوم بتحديد فعل التّخييل الذّاتي في الرّواية وفق العناصر الآتيّة:

1.2-تشييد شخوص وهميّة:

- ويظهر ذلك في الرّواية في قول واسيني:

A Mitra, même si tu n'existes que dans mes livres, mes rêves et, surtout, dans mon coeur. Tu es la seule à qui je peux raconter sans avoir peur, mon histoire, notre histoire.

إلى ميترا حتى ولو لم يكن له أي وجود إلاّ في كتبي، وأحلامي وفي قلبي تحديدا أنت الوحيدة التّي أستطيع أن أروي لها قصتي، قصّتنا، من دون أن أخاف [14].

- وكذلك اختراع شخصيّة وهميّة أخرى وهي شخصيّة الجد (جد واسيني) في قوله: " سيدي علي برمضان إلكوخودي أليريا، المُسَمى الرّوخو. تستحق أكثرمن هذا يا جدي الأعظم .أنحني الآن لظلّك العالي الذّي لبستُه طوال حياتي "[15].

2.2-استعمال خاصيّة الاستباق والاسترجاع: ذكر أحداث لم تحدث بعد في شكل أماني وتكهنات، مثال ذلك قول واسيني في الرّواية في شكل حوار لجده الغائب أو الميت: سأكون أسعد حفيد لك وأنا أتهيأ للقائك بقلب صغير، وشوق كبيرإلى التّربة التّي شربت من دمك وعرقك وشكلتني كما اشتهتْ، ولكنّي كتبتُها كما اشتهيتُ[16].

3.2-استحضار الأحلام والاستيهامات والخيالات: في قوله:" سمعت نداءاته الخفيّة (محي الدّين ابن عربي) يوم طلب الملأ الأعلى وقيل له بينك وبينه حضرة الكرسي. فطار على أجنحة الكرسي ليغرق في نورحضرة قاب قوسين أو أدنى اللوح الأعلى ثم في ظلمة أوحى، حيث تتكشف معميات الأمورومخبآت الأسرار نام كتاب المعراج على صدري وغرقت في سكينة التّيه بلا هدي ولا نجم[17].

-وتظهر كذلك خاصيّة استحضار الأحلام والاستيهام في الرّواية في قول واسيني:" فجأة صرت أحلم بها وبما قرأت ليلا، عندما أستعدّ للنوم، أرى كل ما فيها يرفرف حول رأسي ويتحول إلى نساء جميلات وعفاريت وحيوانات خرافيّة وغابات لا حدود لها ذئاب كثيرة

-من غيرالمعقول؟ قرآن لا يشبه القرآن؟ مكتوب بخط غيرخطه؟ فيه حديث غريب عن الحب والنّساء والسّلاطين والعفاريت؟ فيه حتى الخرافات التّي تشبه ما كانت ترويه لي حنا فاطنة؟ هل يعقل أن يبقى الكتاب في الجامع وهو مكان مقدس؟ أغمضت عيني طويلا وأنا أفكر كيف أخرج النّسخة، قبل أن يوقظني سيدي سعيد من غفوتي "[18].

4.2-أسلبة النّصوص المقدسة والدّينيّة: ويظهر ذلك في قول السّارد: أتذكر اللحظة صدى كلمات جدي المرتعشة في حلقه :لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس من قرأها في نهاره كان من المرزوقين ومن قرأها في ليله قبل أن ينام، وكّل الله به ألف ملك يحفظونه من شرأي شيطان رجيم .وإن مات في يومه أو ليله أدخله الله الجنّة وحضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفارله فإذا أدخل في لحده، كانوا في جوف قبره

يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفتح له في قبره مد البصر، وأومن من ضغط القبر. ولم يزل له في قبره نور ساطع في أعنان السّماء، إلى أن يستلمه الله في ملكوته ويغمره بحبّه[19] .

وهذا مثال آخر يجسد فيه واسيني حديث النّبي ﷺ، من خلال أسلبة حديث النّبي في ما يخص العبور من الصّراط المستقيم وتخيله لهذه التّجربة ومعايشتها في قوله: " سمعت صوتا شبيها بصوت حنّا فاطنة: امش في خط مستقيم فقط وسترى فجوة النّور الّتي توصلك إلى مبتغاك، لا تغير من خُطّاك وإلاّ ستسقط في بحر التّيه الذّي لن تستطيع عبوره أبدا، كما أمر الصّوت، مشيت في عمق النّفق الطّويل حتى انتفت الظّلمة والنّور المعمي للأبصار، فوجدتني وجها لوجه في مواجهة جبل النّار تيغراو"[20] .

– وفي قوله: " سمعت صوت كنسي ممزوج بجرح التّراتيل القديمة الّتي لم أفهم منها إلاّ اسم سيّدنا المسيح:

Χριστός Ανέστη εκ νεκρών, θανάτω θάνατον πατήσας
και τοις εν τοις μνήμασιν, ζωήν χαρισάμενος[21]

هذا هو اليوم الذّي صنعه الرّبّ، فلنفرح ولنتهلل به /المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت /ووهب الحياة للذين في القبور" [22].

5.2 –القيام برحلة وهميّة: ويتجسد ذلك في قوله:" نبهت السّالك لحظتها وهو يسحبني من يدي، بأنّ أهلي سيكتشفون بسرعة بأنّي غادرت المكان .ابتسم بإشراق وكأنّ الأمر لم يكن يتعلّق بالموت والحيا قال: أمشي.فقط حتى لا أقول لك عُمْ بحَرَك، امشِ فقط ولا تلتفت نحوهم كثيرا، هذا يسرق من راحتك ووقتك. اتركهم في حزنهم ولا تحاسب الصّادق منهم والمنافق لأننا لا نعرف ما تخفيفه السّرائر لا عليك يا ابني .هذه صورتك فقط الّتي أمامهم .جثتك لن تغادر مكانها. ستبقى مسجاة أمامهم، كما هي، ولن يلحظ أحد غيابك" [23]. وهنا يتناص واسيني مع ابن عربي في رحلته ويجعل لنفسه قائدا أو دليلا يقوده في رحلته هو "السّالك " إلى سيرة المنتهى.

– ويتجسد كذلك التّخييل الذّاتي في رواية سيرة المنتهى بسرد أحداث رحلة خياليّة قام بها واسيني نحو شجرة الخلد في قوله: " لأوّل مرّة أشعر بأنّ المسافة بدأت تقل بيني وبين شجرة

الخلد على الرّغم من بعدها. رأيت أناسا عديدين يلبسون السّواد مثل القساوسة، يتجهون في خط مستقيم باتجاه الشّجرة "[24].

– ويظهر التّخييل في قوله ": تبعت مدام ألوندوثا لورينزو، بلا كلام وعيناي مرشوقتان في الأعالي الفارغة إلاّ من ضباب أو شيء يشبه ذلك كان يتكاثف بقوة في الزّوايا" [25].

6.2 –استحضار أماكن خياليّة: بحيث أورد واسيني سيرته الذّاتيّة أمان خياليّة لم يزرها من قبل: مثال ذلك سيرة المنتهى، وأمان أخرى مثل: بهو النّور، وبوابة العبور وحائط جبل النّار في قوله ": ومشى سيدي السّالك في بهو النّور الطّويل وقتا لا أدري هل طال أم قصر، لأنّ رفقته الطّيبة والآمنة اختصرت كل الآلام التّي تصحب الفراق، في يده عصاه البيضاء التّي كان يحرّكها أمامه كما يفعل الأعمى البصير، أو صياد بيض الحجل في الحقول الكثيفة بالنّباتات المتداخلة، حتى بوابة العبور المؤديّة إلى حائط جبل النّار[26].

– وهنا إحدى استعمالات واسيني لبعض الأمكنة، ولكنّها حقيقيّة كأمكنة موجودة في الواقع، لكن انتسابه لها ليس حقيقيا، مثل استعماله لمكتبة في حي البيازين، وهو حي حقيقي موجود في اسبانيا لكنّ إمكانيّة امتلاكه لهذه المكتبة ليس حقيقة في قوله: " ورثت عن جدي مكتبة واسعة في حي البيازي، كانت النّساء أكثر من الرّجال من تشتهين سماع القصص والحكايات .وحتى لا تُسرق المخطوطات الثّمينة التّي كان جدّي يتاجر فيها بين غرناطة وطليطلة، أعلنت للجميع: إنّ من يسرق كتابه يلحقه شره ويصُاب بعدواه "[27].

7.2 –الحوار مع شخصيات وهميّة:

– استعمل واسيني شخصيات ذات مرجعيات أدبيّة وأقام معها حواراً على سبيل التّخييل الذّاتي في قوله: " فكرت أن أسال المرأة عن اسمها، ولكنّي لم أتجرأ، إلاّ أنّها هي من تلقاء نفسها قدّمت نفسه؛

– أنا الدّونثا لورينز؛

– أنا سينو(واسيني)، والرّوخو دي أليريا جدي كما قلت لك من قبل، لم يهزني اسمها في البداية، كني عندما بدأت هسهسة شفرات طواحين الهواء في الدّوران من جديد ذكرت دون كيخوتي، حبيبي في الجنون في زمن يتكرر ولا يتغير وتذكرت اسم حبيبته تلك التّي فشل في

التّعبير لها عما في قلبه، كان اسمها الدّونثا لورينزو قبل أن يسميها في جنونه دولثينيا الفلاحة المسكينة التّي جعل منها أميرة جنونه " [28]؛

– وفي قوله: " عندما دخلت على سرفانتس، رأيته وهو ما يزال يحاول أن يستقيم في جلسته، كأنّه وصل هو أيضا لتوه .لم يسبقنا، ولم يتخلّف ثانيّة واحدة عنّا. عندما رآني، أشّر بيده اليمنى أن أجلس "[29]؛

– وكذلك في قوله: "ربت على كتفي ثم هتف في أذني، ولا أظن أنّ أحدا سمعه غيري: واسيني يا ابني، قلبك كبير وخاطرك واسع، أمامك مسالك الأنوار الكثيفة التّي تعمي الأبصار بقوة، أعبرها بلا تردد، فأنتَ سيدّ شأنك، سيخف كل شيء بالتّدرج امش يا ابني ولا تلتفت وراءك " [30]؛

– مدينة جميلة وأكاد أعرفها بمرتفعاتها ودروبها .بمساجدها وكنائسها وناسها أراها يا جدّي وأسمع أيضا نداءات خفيّة تأتي من بعيد في شكل كورس جنائزي يا جدّي ربما كانت غرناطة أيام سقوطها، أسمع الجزع، وأرى الخوف في عيون النّاس؛

–هي عينها يا ابني، المدينة التّي سُرِقَتْ منها الشّهادة [31]؛

– وهناك نوع آخر من الحوارات التّخييليّة التّي ضمنها واسيني روايته، وهي حوارات غير حقيقيّة مع شخصيات حقيقيّة في الواقع، مثال ذلك حواره مع الكاتب الاسباني ميغيل دي سرفانتس في قوله له: "لولا دون كيخوتي وقصصك وكتاباتك وأسرك، لغابت أشياء كثيرة صنعت مخيلتي وصنعت مخيلة المئات من الكتاب والفنانين عبر العالم، ربما لكنت شيئا آخر غير أنا الذّي عليه اللحظة، في هذه المغارة التّي أطلقتَ عليها تسميّة مونتيسينوس، كما اشتهيتَ "[32].

8.2 –انعكاس صورة الذّات في مرآة التّخييل: وهذا يتجسد من خلال محاورة الذّات لذاتها، ورؤيّة الذّات لذاتها في النّص السّيرذاتي ومثال ذلك قول واسيني: " انسحبت فجأة الأرض من تحت قدمي وشعرت بدوار قاس، ارتعشت كل فرائسي ولم أكن قادرا على التّحكم فيها، لم يكن الميت الذّي انكشف وجهه كليا عندما طارت الفراشات البيضاء، يُشبهني فقط ولكنّه كان أنا، أَنا واسيني، تماسكت وأنا أقبض على خشبة التّابوت مثل طفل خائف يتحسس أي شيء قريب منه، لك لا يسقط مغشيا عليه، فركت عيني ثانيّة وثالثّة وسابعة

رفعت رأسي نحو الرّجل الطّويل وكأنّي أدعوه لينجدني، كانت عيناه ما تزالان مثقلتين بالدّموع قلت في خاطري: لابد أن يكون التّعب هو سبب هذه الرّؤى؟ أغمضت عيني، لكنّي عندما فتحتهما رأيت نفس الملامح، ورأي اللّوح الذّي كُتِب عليه اسمي، وتاريخ ميلادي، ووفاتي بالعربيّة واللاتينيّة، وكلمة صغيرة كنت أكررها دائما :لقد عشتها كما اشتهتني لأنّها كانت الأقوى، لم أكن استثناء عظيما في هذه الدّنيا، ولم أكن إلها صغيرا، لكنّي لم أمر على هذه الحياة كغيمة جافة "[33].

9.2 -مساءلة أحداث تاريخيّة: حاول واسيني أن يعيد قراءات تواريخ وأحداث قديمة لم يعشها، ولكنه أوردها في سيرته ليكشف عن حقيقتها وزيف بعض التّواريخ القديمة ومثال ذلك في قوله: "حنّاك ليست مثقفة، ولا عارفة، لكنّها تعودت أن تثق في قلبها لابدّ أن تسمع لقصة لا نوتشي دِلْ رِي، (La Noche d'el Rio) ليلة الوادي بالإسبانيّة) أكبر حالات القسوة أن تجد نفسك وحيدا، بلا أهل ولا أرض ولا هواء هل يهمُّك أن تسمعني؟"[34] وهذه كلمات تفتح المجال أمام القارئ ليتعرف على هذه الحادثة من سرد الجدة لواسيني، لكن يبقى الشّك قائما في وقائع هذه الحادثة، بحيث يمكن أن تكون كذلك من نسج الخيال الواسيني.

– خاتمة: توصّلنا إلى جملة من النّتائج كانت أهمّها: أنّ فعل التّخييل الذّاتي لايمكن له أن ينفصل عن جنس الرّواية السّيريّة، وحتى تبنينا للقول السّائد بأنّ التّخييل الذّاتي هو تطور لجنس الرّواية السّيريّة، فليست لدينا اية شجاعة بأنّ نسم التّخييل الذّاتي بسمة الجنس الأدبي المتفرد والقائم بذاته، فهو لا يكاد أن يخرج عن حدود السّيرة الذّاتيّة كما لا يخرج أي إبداع أدبي عن كونه جزءا من ثقافة معينة، هي بالأساس ثقافة الكاتب الذّي تستنطق مكامنه ليبوح بمكنوناته عبر صفحات إبداعه الرّوائي.

يمكننا أن نُجْمِلَ فعل التّخييل الذّاتي واللاشعور الثّقافي في رواية سيرة المنتهى لواسيني في العناصر الآتيّة: تشييد شخوص وهميّة في متن الرّواية استعمال خاصيّة الاستباق والاسترجاع، واستحضار الأحلام والاستيهامات والخيالات، وأسلبة النّصوص المقدّسة والدّينيّة، الدّخول في موجة من التّوهم واستحضار أحداث وهميّة والقيام بفعل الرّحلة استحضار أماكن خياليّة والحوار مع شخصيات خياليّة وأخرى تاريخيّة على سبيل استنطاقها، وأخيرا انعكاس صورة الذّات في مرآة التّخييل.

إلى هذا الحد آن للتخييل الذّاتي الواسيني أن يرسو بنا إلى خاتمة مع نهاية القراءة لسيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني لتهب لنا عوالم تخييليّة تصبح لنا أو نسلمها ذواتنا لتسكن إليها أثناء زمن قراءة.

- قائمة المراجع:

- سعيد عبد الجبار، من السّرديّة إلى التّخييليّة، منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى الجزائر 2012 م.

- صلاح عيد، التّخييل نظريّة الشّعر العربي، سلسلة الدّراسات الإنسانيّة رقم 4 مكتبة الأدب القاهرة 2001 م.

- سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة: محمّد عثمان نجاتي، طبعة أولى، القاهرة 1982م.

- واسيني الأعرج، سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني، رواية سيريّة، دار البغداديّة للنشر والتّوزيع الجزائر، 2014م.

- سمير الغيثي، مفاهيم سرديّة، في ندوة أقامتها وحدة أبحاث السّرديات بجامعة الملك سعود 2016/11/1.

- من أجل السّيرة الذّاتيّة حوار مع فيليب لوجون، أجرى الحوار ميشيل دولون عن مجلّة Magazine littéraire الفرنسيّة عدد409، ماي 2002 ترجمة: المبارك الغروسي -2008-02-05.

- عبد اللطيف الوراري، إشكاليّة العلاقة بين المؤلّف والشّخصيّة. التّخييل الذّاتي بين كولونا ودوبروفسكي، موقع :www.arab-ewriters.com/chat . 2016-22-11.

- محمّد الدّاهي، منزلة "التّخييل الذّاتي" في المشهد الأدبي-موقع الكاتب محمّد الدّاهي: www.ohameddahui.//hh//com 2013-03-22- د. ص.

6. هوامش:

[1] -سعيد عبد الجبار، من السّرديّة إلى التّخييليّة، منشورات الاختلاف، الطّبعة الأولى، الجزائر، 2012 م ص61.

[2] -المرجع نفسه، ص 41.

[3] -المرجع نفسه 57.

[4] -فانسان كولونا: ناقد أكاديمي فرنسي قام بدراسة لمفهوم التّخييل الذّاتي وطوره أو قسمه إلى أربعة أنواع معينة.

[5] -عبد اللطيف الوراري، إشكاليّة العلاقة بين المؤلّف والشّخصيّة. التّخييل الذّاتي بين كولونا ودوبروفسكي، موقع: 2016-22-11

[6] -سمير الغيثي، مفاهيم سرديّة، في ندوة أقامتها وحدة أبحاث السّرديات بجامعة الملك سعود 2016/11/12م.

[7] -صحفي فرنسي.

[8] -من أجل السّيرة الذّاتيّة حوار مع فيليب لوجون، أجرى الحوار ميشيل دولون عن مجلّة Magazine littéraire الفرنسيّة عدد409، ماي 2002 ترجمة: المبارك الغروسي -2008-02-05 -.

[9] -منزلة "التّخييل الذّاتي" في المشهد الأدبي-د.محمّد الدّاهي.

[10] -واسيني الاعرج، سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني، رواية سيريّة، دار البغداديّة للنشر والتّوزيع الجزائر، 2014م، ص8.

[11] -سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة: محمّد عثمان نجاتي، طبعة أولى القاهرة، 1982، ص .34.

[12] -واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص 79.

[13] -محمّد الدّاهي، منزلة "التّخييل الذّاتي" في المشهد الأدبي، موقع الكاتب محمّد الدّاهي، 2013-03-22-د-ص

[14] -واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، ص .8.

[15] -المرجع نفسه، ص. 14.

[16] -المرجع نفسه، ص. 14.

[17] - المرجع نفسه، ص، 18.

[18] - المرجع نفسه، ص .192.

[19] - المرجع نفسه، ص. 22.

[20] – المرجع نفسه، ص .28.

[21] – هي كلمات من الإنجيل باللغة العبريّة وترجمتها مرفقة بها تعني: هذا هو اليوم الذّي صنعه الرّبّ فلنفرح ولنتهلل به /المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت /ووهب الحياة للذين في القبور.

[22] – المرجع نفسه.ص.42.

[23] – المرجع نفسه، ص.25.

[24] – المرجع نفسه، ص.225.

[25] – المرجع نفسه، ص.355.

[26] – المرجع نفسه، ص .26.

[27] – المرجع نفسه، ص 49.

[28] – المرجع نفسه، ص .354.

[29] – المرجع نفسه، ص 385.

[30] – المرجع نفسه. ص. 27.

[31] – المرجع نفسه، ص .47.

[32] – المرجع نفسه، ص. 420.

[33] – المرجع نفسه. ص .41.

[34] – المرجع نفسه. ص 49.